(١٧)

الإنسان الخالق
في ثياب الإنسان المخلوق
في اللانهائي بحقه وخلقه

حديث الجمعة

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ٨ ديسمبر ١٩٦١ م

باسم الإنسان لنا نشهد، وبالإنسان علينا نبدأ، وإلى الإنسان بنا نرجع.

باسم الإنسان الأزلي في الأبدين لنا منه نستعين وإليه من علام الغيوب نستكين.

بالإنسان الرحمن الرحيم نقوم، إلى الإنسان الخالد بلا صاحبة ولا ولد في أبدي ولدينا لنا منا نتجه لنتواجد خالدين.

بالإنسان في أنفسنا يقوم وعلى أنفسنا قائم، ومن أنفسنا يقيم، منه نستمد وبه نستعين، وإليه به نتوسل.

إن الإنسان سرمدي في حقيته، أزلي أبدي في أبوته وبنوته، بحضرتي الله له، من أزلي حضراته بآحاده لا بدء لها ولا انتهاء لقيامها.

إن الإنسان في قيامه خلقا وحقا، عبدا وربا، ظاهرا وغيبا، يقوم بذكر الله، وبعلم الله، وبأعلام الله، وبكتاب الله، وبوجه الله، في جماعه وفي اجتماعه بوحدانيته. يحيا بمفرداته من حياته بجماعاته، ويحيا في جماعاته من حياته في مفرداته في أبدي تواجده يتواجد، على مثال من أزلي وجوده تواجد، حتى يكون ابنا وأبا، وعبدا وربا في آن واحد، وذات واحد بلا توقف لبنوته، ولا حصر لأبوته صفة اللانهائي بحقه لوجوده في خلقه، لإظهار معناه وعلم وجوده لوجوده، خلقه لنفسه، وخلقه لإرادته، وخلقه ليعرف في نفسه بنفسه من نفسه من أوجده لنفسه.

إن الإنسان هو أزلي الله، في ظهوره من كنزيته، وهو قائم الله في شهوده من غيبه، وهو باقي الله في دوام الله في أبديته، من قائم ومحدث خلقه لنفسه.

إن مفردات الإنسان من الإنسان وجوهه وأعضاؤه، وأبعاضه تقوم في وحدته، حقا كبيرا وأمرا خطيرا، وحضرة حية قائمة، عنوانا لحضرة مقيمة دائمة، وحضرة ظاهرة عنوانا لحضرة باطنة، حضرة أرضية عنوانا لحضرة علوية. إن عوالم أعضائه أو أعضاء عالمه تقوم في صور أعضائه سماوات علوية لمفرداته.

إن الظاهر من الإنسان مرآة الباطن من الإنسان، علما على الحق فيه، وعلى الحق به، وعلى الحق منه، وعلما على الحياة، وعلما على الحي القيوم، خلق الموت والحياة ليبلو مفرداته أيهم أحسن عملا، خلق الموت لمفرداته لا يلحقه موت في جماعه وذاته. خلق الموت يطرأ على الحياة المعارة لمفرداته من أمانة وجوده، عند من اؤتمن لها من خلقه. حملها الإنسان المخلوق، ليمثل بها الإنسان الخالق، وليفعل بها ما يفعل الخالق بفعله على ما فعل له، وقد أوجده على مثاله. بدأه من حياة جزئية تقوم في حياة عمومية ثم خلق له الموت، على جزئي الحياة العارية فيه ليسقط عنه الغفلة، وليحرره من الضيق، وليدخل به من باب العدم إلى طريق الوجود. باب ظاهره من قبله العذاب، وباطنه من قبله الرحمة، يبدو ثَمَ الخياط، ينفذ الإنسان منه، على ما هو عليه، من مطية الحياة للحي القيوم إلى حياة الحي القيوم، من حيوانيته إلى روحانيته، من فيزيقيته إلى نجميته، ومن نجميته إلى معنويته من فكره ووعيه وإرادته، ينفذ من ثَم الخياط كما تنفذ صور الكائنات من بؤرة عينه إلى صدفتها ومرآتها. ينفذ بوجوده من الله المطلق إلى إطلاقه من مقيد ذاته من بؤرة قلبه.

إنه نور منطلق لا يحجزه ثَم الخياط من محدود ذاته، ولا يحبسه حابس من غير فعله في عقر داره من بيته من جسده. إن الموت المخلوق له لا يقوم على حياة الخالق فيه. ولكن الموت المخلوق يقوم على جهازه ووجوده المخلوق له.

إن الكائن الإنساني من البشرية بمقامها، لا بقيام فطير تكوينها فيها، وقد نفخ فيه الروح العظيم من روحه، لا يطرأ الموت على روحه ولكن لها تتضاعف الحياة. ولكنه فيما خلق له من عالم صغير بجسد من مادة، فإنه قد يطرأ الموت على ما خلق له من جسده، ومن مادته، حتى ينطلق روحا، ويعود إلى حريته، لا تحجزه السموات ولا تمسكه الأرض. ينفذ من السموات ويتحرر من الأرض، وينطلق في لا نهائي الوجود. يملأ فراغ الوجود بالحياة من حياته. حرره الله وعلمه الله وأقرأه الله كتاب نفسه، ومكَّنه الله من عالم وجوده بذاته في مادياتها وفي نجميها وفي معنوياتها، وأمره وأذن له ومكنه وخلَّقه أن يوجد نفسه لنفسه بنفسه على ما كان له من الله، وعلى ما عرفه مرة وأخرى.

فأوجد لنفسه في نفسه آدمه بأديمه على صورته، وتعارف إليه، بعين معناه، فتعارفا. عرفه آدم باطنه لظاهره، وجعل من آدم باطنه لظاهره عنده في ملئه لا فرق بينهما. فأوقف الوجه ذو الجلال منه، من اللانهائي ظاهره بين يديه عقلا له، وعبدا له، وأمره في أمره لنفسه، أدبر فأدبر، وأقبل فأقبل، فقال له لا فرق بيني وبينك، وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز عليّ منك.

ما كان ما نقل الرسول إلينا عن نفسه، أو عن ربه، أو عن أخيه ووحيه من بيت ربه من الأعلى من رفاقه، ما كان كله إلا تعريفا لنا عن الإنسان، في حقه وخلقه في ظاهره وغيبه، في تواجده وموجده، وفيما أوجد لنفسه. إن الرسول قد جمع المعرفة كلها في حياة الإنسان بظاهره ومنها عرف حياة الإنسان في غيبه، سواء في أزله من قديمه لا بدء له، أو في أبده من محدثه بباقيه لا انتهاء له، وهو ما جمعه في ثالوث من كلمات، يوم قال لنا (الظاهر مرآة الباطن)[1]. من طلب أن يعرف الغيب فعليه أن يتعلم ليعرف عن الشهادة، يتعلم من الشهادة بعلم الشهادة، ليستقبل العلم من الشهادة، وهذا ما عناه اللانهائي في بلاغه يوم حمله معناه في رسوله إلينا بقوله {الرحمن فاسأل به خبيرا}[2]. إن الخبير بالرحمن معنى يقوم بعباد الرحمن، بخلق الرحمن، بوجوه الرحمن، الرحمن من ورائهم محيط، وعليهم وبهم قائم، أقرب إليهم من أنفسهم، كشفوه لأنفسهم بوحدانيته، يوم طلبوه، وأسقطوا معاني الأنا عن فيزيقيهم إلى معاني الروح لهم ومعاني الروح فيهم ليعرفوه فقام الروح في قيامهم.

هذا الحق الصريح، هذا الحق الواضح، هذا الحق القريب، هذا الحق القائم، أن الإنسان روح من الأعظم من الروح، من الروح اللانهائي. إن الإنسان عالم صغير من عالم كبير في ذاته، ينمو ويكبر، على مثال من أبويه، من عوالم إيجاده في بيئة عوالم تواجده في الوجود الأزلي السرمد الذي لا ينقطع اتساعه، ولا ينقضي ولا يزول ولا يحول وجوده، في آحاده من آحاده بواحده.

إن أمة محمد إنما هم القَّيمة على الناس بدينهم، هم نور الأمم بأئمتهم، الذين هم شعب الكتاب بأناجيل صدورهم، عترة لرسوله، لا شرف عندهم لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، شعبا لله مختارا من سائر الأمم، أئمة للناس بما نفخ فيهم من الروح العظيم من الروح تعرضوا له حول محمد من أنفسهم، إماما لهم وبيتا موضوعا لمرفوع بيتهم لمعبودهم اللانهائي.

إن تحريف كلام الله عن مواضعه أضاع الناس في أوضاعهم، وحرمهم من مواضعهم من التواجد فيه، أيدي لله وعضدا لله، وأقباسا من نور الله، ووجوها لله، وحضرات لله، وكلمات لله، وأسماء لله، وصفات لله، وبيوت لله يذكر فيها اسمه. ترفع وتوضع بسلطانه، وتعرف وتغيب بعنوانه أن الناس من الله تواجدوا، وبالله يقومون، وإلى الله يؤولون، وبيوتا لله يتواجدون، ووجوها لله سوف يظهرون، يوم يعلمون ويعلِّمون.

ألفاظا بألسنتكم تلوكون، واسما تذكرون، ثم معرفة بالله في هذا الترديد تزعمون، وأنتم كالببغاوات ترددون اسما، وتحددون وتُجَهِّلون لأنفسكم رسما. وأنتم في أنفسكم معناه، وبين جوانحكم ملكوته، وفي قلوبكم كعبته وهي لكم قبلته. فإلى أي قبلة تتجهون، ولمن تصلون وحول أي معنى لبيت تطوفون، والله بينكم منكم، وفيكم لكم بوجهه وبيده وبعينه، ينظر ويعمل ويقوم، وفي أنفسكم لخيرها يسعى، ومن أنفسكم لكم يتواجد، وبين أنفسكم فيكم منكم يظهر؟ هلا سألتوه بينكم خبيرا؟ هلا عرفتوه منكم عبدا قديرا؟ هلا أدركتموه لكم معينا ظهيرا؟ هلا كنتم وجها لوجه فيه معكم بينكم؟ جاء الحق وزهق الباطل يوم أنزل الأعلى الحق منه على عبده وخلقه، فزهق باطله من خلقه، وقام حقه في صورته من ربه لا فرق بينه وبينه، ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان. فهل عرف الإنسان الحق لنفسه في نفسه يوم جاءه الحق بالمثل المرضي له تحت عنوان المحمد من عباده لعباده باسم رسول الله في صورة محمد، وفي قيام محمد، وفي قول محمد، وفي فعل محمد، وفي معنى محمد، وفي آل محمد؟

هل ساس الناس أنفسهم في الله على ما ساس من كان اسمه محمد؟ فبقي وصفه محمد وانقشع عن اسمه وذاته محمد معناه من الخلق إلى الحق من ربكم، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم}[٣]، أذهب عنهم أوزارهم، وأسقط عنهم فيزيقيهم، ومحا باطلهم، وخلع عنهم موقوتهم من نجميهم، كفر عنهم سيئاتهم، في أنانيتهم معزولة عمن ائتمنهم بأمانته لأنانيته بهم.. وأصلح بالهم وقد أقلق بالهم، شوقهم لمعرفة خالقهم والخالق بين جوانحهم، ينبض بالحياة بيته في نبض قلوبهم، ويسري بالحياة أمره في سريان دمائهم، ويتواجد بالحياة ظاهره في تواجد ذواتهم، ظاهرا لباطن بأشباحهم لأرواحهم.

كيف قدم لكم الدين؟ وكيف توارثتم الدين؟ وكيف جهلتم الدين يوم جاءكم الدين؟ ليس الدين إلا أن يعرف المَدِين بالحياة دائنه بها، ومُدِينَه عليها. إنك من روح ومادة. إنك بمادياتك من سلالتك وتطوراتك عبد روحك.. فأنت موصوف العبد بمادياتك، وأنت قائم الرب وموصوفه بروحك. إن روح الله فيك هي معاني الربوبية لك. وإن مصادرها من الروح من معناها لمعناها هي معاني الربوبية لها، ومعاني الألوهية لك. وفي معراجها إلى من هي منه لتكونها به يوم يكونها له، تدرك معاني الألوهية لها، ومعاني الألوهية عنك، فإذا قدرت أن الإله غيرك غائبا عنك فلن تعرفه حتى تؤمنه عينك قائما عليك، غير غائب عنك، في عين روحك، في حرية سبوحك، في عتق روحك من سجن ذاتك، تنطلق بأسمائه لك أسماء، وبصفاته لك صفات، خلقك لنفسه، فلِمَ تلعب؟ وبددا لِمَ تذهب؟ وخلق كل شيء في الوجود من أجلك، فلِمَ نتعب، وعلى أمرك لم تغلب؟

أيكما في خدمة الآخر أالعبودية بجسديتك في خدمة الروح من ربوبيتك؟ أم أنها الروح في خدمتك عبدا لها وربا عليك؟ ألم يقل رسول الله (سيد القوم خادمهم)[٤]؟ إن سيادة الروح عليك إنما هي في خدمتها لك. وإن عبودية الجسد منك إنما هي في تقبل الخدمة منها لك. إن الإنسان ينحرف إذ يظن أن ربه في حاجة إليه يوم يطيعه، وأنه في حاجة إلى ربه يوم يلجأ ويجأر فيحقق له سؤله. إن الله محقق لك سؤلك وإن لم تسأله، وإن الله بروحك في خدمتك، وإن لم تستخدمه، إنه يدير الحياة فيك بلا سؤال منك. إنه يشفي مرضك، إنه يسد عوزك، إنه يدبر أمرك، إنه يدفع عنك من البلاء ما تعلم وما لا تعلم دون سؤال منك. إن روح الله فيك ترجوك أن تقبل منها فضلها عليك. فهي بغير الفضل منها عليك لا تعرف كيف تعلمك، ولا تعرف كيف ترشدك، ولا تعرف كيف تهديك، فلا تعرف هي عندك، فتفضل أنت فاقبل فضلها عليك متفضلا. تفضل فاقبل رحمتها إليك. تفضل فتفتح لندائها بسمعك، وهي تدانيك من سماء معناها، سماء لك لأرض معناها قائمة فيك.

إنها تزاحمك على أرضك لتكونها وتدفع لك ثمنا سماءها.. سماء لك لتكونها. إنها تزاحمك على عبوديتك لتكونها، وتبذل لك معناها بربك لتكونه. ففي حياة العمل نمو الحياة. وفي حياة الجزاء فهم الحياة. ولا عمل في حياة الجزاء إلا ببذل الحياة المكسوبة، لانتظار الحياة الموهوبة. ولا نمو للحياة في حياة العمل إلا في استقبال فيوضات الحياة، بصفاء النفس، وارتواء العقل، واستعداد القلب، وطاعة القالب.

إن الرسالة الروحية التي تحيط بالأرض، وتطبق عليها في هذا العصر، تحيط بها إحاطة الحنان، وتُطبق عليها إطباق الأمان، وتحتضنها بروح السلام، ترفضها المادة بما تنزع إليه في نزوعها إلى الخصام، بما تتزاحم عليه من أوهام.. أوهام في السلام ترجوه وهي تعمل لتقويض أركانه، وأوهام للسلم تفتقده وبيدها إقامته، أو أوهام للسكينة، تشرئب إليها النفوس وهي تعز عليها بفقدان السبيل، أو أوهام للسعادة تتخيلها في المال، والسلطان، والشهوات، وهي تجافي الدليل. إنها تفكر في السكينة والسعادة وهي معها، تفكر في الحق وهو بين جوانحها، تفكر في المال وهي مالكته يلحقها حيث كانت من حيث كان، تفكر في العزة والسلطان وهي لها وقد خلقت لها من العزيز الملك الجبار، لتكون لها به، ولا تكون لها بغيره، يوم لا تكون هي لغيره، فيذهب عنها حظها وما وجدت له.

يوم تفقده فإنه يتواجد لها نفسها وما ضعفت عنه في عيان، فترى غفلتها وترى الحرمان وفيه عذابها، وترى الضعف وفيه ضعتها، بينما يحظى به ممن تعرف من يحظى، ممن نافرت، وله كذبت وحديثه ما صدقت، وأمره ما تابعت من عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، آتاهم الله من لدنه رحمة، وعلمهم من لدنه علما، وأمر الله بما شرع من دين، ومن طريق،

ومن حكمة، وبما أودع في غريزة أن يرد الناس أحواضهم، وأن يسألوهم علمهم، وأن يستفيضوهم رحمتهم، وأن يستحيوهم أنوارهم، أنزل معهم النور يمتدون به في الناس ولكن الناس يرغبون في أهل الظلام منهم، يستمدونهم ظلامهم ويدخلون في ظلمات بهم بعد ظلمات، من ظلمات أنفسهم، يضيقون على نور الله فيهم، ويزيدون أرواحهم أغلالا بعد أغلال، حتى يُحررها الحي الخالد، في دوام خلودها بسقوط قوالبها عنها، وتحريرها، وانطلاقها، بما تسمونه الموت فتمقتونه وتكرهونه، وتزعمون محبتكم للحي الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم. لقد أعطاكم مقياسا تعرفون به أنفسكم، ومدى كشف معاني الحق فيكم، ومدى انقشاع ظلامكم عن حقي معانيكم، يوم قال لكم {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين}[٥]، إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم من دون غيركم من الناس، بما اعتقدتم لكم وقد عبدتم أنفسكم لربكم بوهمكم.

إن الإنسان الكبير في خدمة الإنسان الصغير، فلا ترفضوا خدمات الله لكم، وتخلقوا بخلقه كما هديتم، وكونوا كبارا في خدمة الصغار منكم، واجعلوا دينكم في استرضاء الكبير بالعطف على الصغير، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، واتقوا الله واعلموا أنه بكم لطيف، وعليكم قائم، ولكم بالمرصاد.

فاتقوه أيها المؤمنون به، واعلموا أنه ما من صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها بقانون خلقكم في كتاب وجودكم، تكتبونه بأيديكم وتقرأونه بأنفسكم، وتشهدونه بعيونكم، وتسمعونه بآذانكم، وإن شئتم.... ساعتكم في حاضركم تُشهد لكم، فالأمر لكم. لا تسوفوا الله ولا تسوفوا قضاءه، ولا تسوفوا حسابه ولا جزاءه، ولكن اشهدوا الله فيما هو مشهود لكم، واشهدوا الله في أنفسكم، تشهدون أنه لا إله إلا الله مشهودا لكم، فتعلموا وتشهدوا أن محمدا رسول الله، من الله له، ومن الناس لكم، فتشهدوا وتعلموا أن الله ورسوله إنما هما أبويكم، في قديمكم من أزلكم لكم يتواجدان، ولولديكم في أبدكم بكم لكم تتواجدون في اللانهائي وبه، فاعلموا واعملوا أنه الله، وأنه لا غيره، وأنه لا وجود لغيره، وأنه لانهائي لا يدرك في لانهائيته، وأنه قريب لانهائي في قربه، لا يجحد في وحدانيته. لا إله إلا الله. محمد رسول الله.

اللهم كن لنا فيما علمنا. اللهم كنا لنا فيما جهلنا. اللهم كن لنا في يقظتنا. اللهم كن لنا في غفلتنا.

إن كنت لنا لم نحرم شيئا، وإن تناسيتنا لم نكسب شيئا. اللهم وحدنا وتوحدنا. اللهم إليك فوجهنا. اللهم منك فجددنا، اللهم بك فأقمنا، اللهم عنك لا تشغلنا. اللهم شهودك لا تحرمنا، اللهم وجودك لا تمنعنا. اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وبعفوك فعاملنا، وبمغفرتك فأوصلنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فبيد رحمتك ممتدة في دوام فأنقذنا.

(لقد تكلمت مع كثيرين ممن عبروا من عالمكم إلى عالمنا، ولم أقابل بعد واحدا يقول لي، بعد أن رأى بعيون الروح، أن الروح الأعظم لم يقدم له أجل الخدمات.

إنكم جميعا أجزاء من الروح الأعظم، إنه يقول لكم - ها هي قوانيني وها هو جزء مني فيكم. وكل ما يمكن لكم استخدامه لعمل صالح ها هو بجانبكم. وقد أعطيتكم كل الآلات والإمكانيات فيمكنكم الاختيار بين المسلك الصحيح بها والمسلك الخاطئ لاستعمالها بالسير على ما عرفتم من قوانيني أو ضدها.

وقد ضل الأطفال وساروا بعيدا جدا عن قوانين الروح الأعظم حتى أصبحوا عميا عن أمور الروح، ولا يفقهون إلا أمور المادة، فكان على السادة في عالم الروح أن ينسخوا في عالم المادة أناسا مترنمين مع ذبذبات الروح الأعظم، حتى يمكن أن ينفذ عمله خلالهم).

السيد الروح المرشد سلفربرش.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -:"...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢ سورة الفرقان - ٥٩

٣ سورة محمد - ٢

٤ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.

٥ سورة البقرة - ٩٤